

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
قسم اللغة العربية/ الدراسات العليا

التراكيب التعليلية في القرآن الكريم (دراسة حجاجية)

أطروحة تقدّم بها الطالب

حازم طارش حاتم الساعدي

إلى مجلس كُلية الآداب - الجامعة المستنصرية
وهي جزءٌ من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة
اللغة العربية وآدابها / لغة

بإشراف الأستاذة الدكتورة
لطيفة عبد الرسول عبد الضايحي

٢٠١٤م

بغداد

١٤٣٥هـ

الخاتمة

إن الحجاج فعاليةً تداوليةً تواصليةً متجذرةً في اللغة، يقصد إليها المتكلم من أجل تحقيق التأثير؛ لأنّ الحجاج ينطلق من فكرة مؤداها: (إننا نتكلم عامة بقصد التأثير)، فالحجاج البديل الفعّال عن العنف والإقصاء والتهميش؛ لهذا سعت الدراسة إلى استكشاف آليات الحجاج، وأدواته الإجرائية ومنطلقاته التأسيسية، وقيمه المعرفية في كتاب الله العزيز الذي يمتاز بتنوع الأساليب وبلاغتها، ويقصد التأثير، وقد رقت الدراسة أبرز النتائج:

- ١- بينت الدراسة أن الحجاج يفرض وجود متلقٍ يتوجه إليه الخطاب، يأخذ فيه المتلقي دوراً إيجابياً يريد الوقوف على مقاصد المتكلم عن طريق العناصر اللغوية، والقرائن التي ترافق هذه العناصر، وهنا تظهر الخاصية الحوارية، وهي خاصية جوهرية في تأكيد حجاجية النص، وبها ينكشف أن الخطاب الحجاجي لا يمارس العنف، والغالب في الخطاب القرآني أنه خطاب موجه إلى جمهور خاص يحاكي وقائع وقعت، ويقصد التأثير في الجمهور الكوني.
- ٢- اثبتت الدراسة أن الحجاج أوسع من الجدل، فكل حجاج جدل، وليس كل جدل حجاجاً؛ لأن الجدل مقيد في المدارات العقلية والمنطقية، والحجاج غير مقيد، فهناك الحجاج اللغوي، فالعلاقة التي تحكم الحجاج بالجدل علاقة عموم وخصوص، والجدل في الخطاب القرآني الغالب فيه جاء على لسان المعاندين والمنكرين، فهو يتضمن الخصومة، ولا يشترط في الحجاج وقوع الخصومة والغلبة، بل يقصد التأثير.
- ٣- كشفت الدراسة عن علاقة الحجاج بالبرهان علاقة تقابل، فهما ينتميان إلى نظامين مختلفين، إذ ينتمي الحجاج إلى نظام الخطاب الطبيعي في حين ينتمي

البرهان إلى نظام المنطق، غير أن المقدمات في حجاج ظنيّة احتماليّة؛ لأنه مجاله الممكن، فنتائجه غير يقينيّة يمكن أن تعارض، والبرهان مقدماته يقينية؛ لأن مجاله الضروري، فنتائجه يقينية لا تعارض، والبرهان في الخطاب القرآني يراد به الدليل والحجة على دعم فكرة أو دحضها.

٤- أظهرت الدراسة أن الخاصية البنائية للخطاب الحجاجي خاصة استدلالية يتم بها الانتقال من (الحجة) إلى (النتيجة)، والحجة الوحدة البنائية الأولى في العملية الحجاجية؛ لذا يشترط فيها أن تكون مناسبة وملائمة للخطاب، وأن التعليل الوظيفة الأساسية للحجج، وبهذا يمكن الحكم عليه بأنه من (الحجج المقومة أو التقويمية)، وهو دليل يأخذ بمبدأ (التفاعل الخطابي).

٥- بيّنت الدراسة أن العملية الحجاجية تقوم على مبدئين: مبدأ (الإدعاء)، ومبدأ (الاعتراض)، وهذان المبدآن يعكسان الاختلاف في الدعوى، ويدفعان إلى ممارسة الحجاج، فبنية الخطاب في ذلك لها صورتان: صورة كونها نشاطاً لغوياً لسانياً، وصورة كونها نشاطاً فكرياً امتزجاً؛ لإحداث تأثير في سلوك المخاطب، وهذه إحدى أهم السمات الأساسية في التخاطب الحجاجي.

٦- بيّنت الدراسة إن الهيكل البنائي الشكلي للتركيب التعليلية، تتسجم مع أهم سمات وخصائص النص الحجاجي، فالهيكل البنائي الشكلي الذي يتكون من تركيبين تربطهما علاقة داخل سياق نصي، يمثل فيها أحد التركيبين (الحجة) والآخر (النتيجة)، والعلاقة التي تربط بينهما يحددها الرابط، فالعلاقات تتغير بتغير الروابط فـ(العلاقة المدرجة للنتائج)، و(علاقة التساوق الحجاجي) و(علاقة الاستنتاج الحجاجي) و(علاقة التابع الحجاجي) و(علاقة التقييد الحجاجي) و(العلاقة الشكّية).

٧- تكشف الدراسة عن حيثيات الحجاج الداخلية والخارجية منها "السؤال/الجواب"، وليس من الضروري أن يكون السؤال منظوماً، بل قد يكون السؤال افتراضياً؛ لأنه يمثل (الإدعاء) بوجه و(الاعتراض) بوجه آخر، والجواب إقرار واعتراف المتلقي بالدعوى، وتولد (المساءلة) طاقة إنجازية تبعاً لما يقتضيه مقام الحجاج من استعمال أداة مساءلة بعينها منها: (التقرير) و(التوبيخ) و(الانكار) و(التعجب).

٨- بينت الدراسة أن الخطاب القرآني عموماً والخطاب التركيبي التعليلي خصوصاً يتكون من خطابات متعددة، تتغير فيها أطراف الخطاب، وتبدل فيها الغايات والأهداف، فنتج عن ذلك (الحجاج المغالطي) الذي يتوخى فيه المحاجج الإقناع باستخدام الحجج الباطلة التي ظاهرها الحق، و(الحجاج الأخلاقي) القائم على المنهج القيمي، و(الحجاج الجدلي والخطابي) و(الحجاج الحوارية) و(الحجاج اللغوي) و(الحجاج المنطقي)، والأساس في هذا تغيير الحجة؛ لأنها تقضي ضمناً الإقناع الوظيفية الأساسية لكل حجاج.

٩- كشفت الدراسة في الجانب التطبيقي عن مجموعة من القوانين مثلت أسساً في عملية بناء العملية الحجاجية منها: قانون الأنفع والأجدر، ومقتضى هذا القانون يكمن في السؤال الآتي: لماذا استخدم المحاجج هذه الحجج من دون غيرها من الحجج؟ وقانون الأخبار الذي يمثل فيه الخبر حجة على متلقيه؛ لكون المتكلم صادق فيما يقول، أو أن المتكلم يريد إلزام المتكلم عن طريق تزويده بمعلومات، أو استشعاره بأن المحاجج بعلم، وقانون الاختصار الذي يعكس المقام وواقع القضايا المطروحة.

١٠- بيّنت الدراسة أن الحجاج يستند على (مقدمات) تتغير بتغير (المقامات)، وهي تمثل مركز الانطلاق في بناء الاستدلال، وتأتي أهمية هذه المقدمات من كونها تمثل المشترك بين أطراف الخطاب، وغير قابلة للنقض أو الشك، إذن الحجاج لعمل تكاملي بين فعلين أساسيين: فعل التصريح بالحجة، وفعل الاستنتاج منها، فلا يمكن النظر لوجه من دون أن تستحضر الوجه الآخر، لهذا تنقيد النتائج في ضوء الحجج؛ لأن المحاجج يقصد مايقول.

١١- أظهرت الدراسة أن اللغة تحمل بصفة ذاتية أبعاداً حجاجية مؤشراً لها في بنية الأقوال أنفسها؛ لهذا كشفت الدراسة عن نوعين من الحجاج: حجاج من خارج اللغة يعتمد حججاً من خارج اللغة تلزم عنها نتيجة حتمية كما هو الشأن في البرهان، والحجاج من داخل اللغة يقوم على بنية اللغة التي هي قول أو مجموعة أقوال تقتضي قولاً، أو أقوالاً أخرى، والحجاج هنا ليس عنصراً يضاف إلى اللغة، بل يسري فيها سرياناً طبيعياً.

١٢- بيّنت الدراسة أن الحجاج يستمد قوته وفاعليته من الحجة كقوة داعمة أو نافية للفكرة أو الرأي المطروح، وطريقة انتظام وعرض تلك الحجة، وتعزيد الخطاب بالحجج القوية يكسب الخطاب قوة تأثيرية، وقد تنوعت الحجج في الخطاب القرآني، والغالب منها الحجج المؤسسة على بنية الواقع، والحجج شبه المنطقية.

١٣- أظهرت الدراسة أن الحجاج المنطقي يستند على المنطق الجهوي لتنظيم الحجج في الوظيفة التعليلية، وهو في ذلك يحاكي في بنائه الممارسات القانونية والقضائية؛ لأن غرضه بناء منطق عملي، ترتسم فيه المنطلقات، وتتحدد فيه المبادئ؛ ليتحقق التأثير.

١٤- كشفت الدراسة عن قواعد تنظم بناء منطق الخطاب تحت مبدأ عام أسماه (غرايس) (مبدأ التعاون)، هي بمثابة ضوابط لكل عملية تخاطبية تساق؛ لتحقيق التأثير على وفق مسالك محددة، فالحجاج عنده خطاب غائي يبتعد من دائرة المنطق الرياضي ليتجه إلى المنطق الطبيعي الذي يكشف عن المقولات البلاغية، ف(غرايس) لم يجد أنموذجا إجرائيا وصفيا، لتفسير الظواهر الحجاجية، بل اهتم في بناء وتنظيم الخطاب.

١٥- أظهرت الدراسة البعد الوظيفي الحجاجي للموجّهات اللسانية في التراكيب التعليلية، إذ قامت بتوجيه الملفوظ بحسب مقاصد المتكلم ومتطلبات المقام، ومن ثم توجيه المتلقي نحو سلوك معين أو تركه، وقد زودت هذه الموجّهات الخطاب بطاقة جعلت منه غير قابل للدحض والاعتراض، والتغاير الحاصل في الموجّهات داخل الخطاب يعكس التغاير في متلقي الخطاب ومقام الخطاب.

١٦- بيّنت الدراسة أن الخطاب التعليلي في القرآن الكريم يعتمد فيه المحاجج على (الحجة التبريرية) في تحقيق مبتغاه، مستعينا بـ(الوقائع الحادثة) أو (المعارف المشتركة) أو (القيم)، ولم يعتمد إلى حجة السلطة والقوة في تحصيل الإقناع؛ لذا كشفت الخطابات عن قواعد تبين ذلك منها (قاعدة التودد) (قاعدة التلطف) و(قاعدة الملاءمة والمناسبة).

١٧- أظهرت الدراسة أن المحاجج لم يعتمد على القول الصريح؛ لتحقيق الإقناع وإيجاد التأثير، بل عمد إلى القول المضمّر أو الاقتضاء في كثير من الأحيان، معتمداً في ذلك على متلقي الخطاب إلى الاهتداء لذلك الضمني ذي الطاقة الحجاجية، فالمقتضى المتولد عن الاستفهام يخضع المتلقي على الإجابة على وفق ما

يرسمه البعد الاستفهامي الاقتضائي، وحمله على الاقرار والاعتراف بما يؤلّد من قوة إنجازية.

١٨- كشفت الدراسة عن الأبعاد التداولية في الخطاب التعليلي القرآني، والأفعال اللغوية التي تخرج إليها، وتوظيف هذه الأبعاد في إلزام المتلقي وتوجيه سلوكه باتجاه معين؛ لأن مخرجات التداولية تصف ما للقول من قيمة عمل.

١٩- أظهرت الدراسة عدم كفاية التصنيفات المقترحة لأعمال اللغوية، ذلك بسبب عدم اشتغالهم بالمتواليات من الأعمال اللغوية المركبة، وانشغالهم بالأعمال اللغوية البسيطة؛ لذا ظهر (الفعل الحجاجي)، الذي أشار إليه (فان أيميرن) و(خروتدورست)، فالحجاج عندهما فعل لغوي مركب، تتجلى فيه القصدية في عرض الحجة، والغرض تدعيم النتيجة المقدمة.

٢٠- بيّنت الدراسة أن حروف المعاني لم تغادر معناها المركزي، وأن المعاني الهامشية التي خرجت إليها معانٍ وظيفية مستفادة من السياق، وليس معنى آخر للحرف، ودلالة الاتساع هذه يستثمرها المحاجج في توجيه الخطاب، وبيان الأغراض التي يخرج إليها الخطاب، فضلاً عن ذلك الكشف عن سياقات المقام التي أوجدت هذا الاتساع والخروج عن الدلالات الأصلية.